

الإطار العام للتاريخ المصري القديم
الموسم الثقافي الآثري السابع
بمكتبة الإسكندرية

M. Galal

الإطار العام للتاريخ المصري القديم

مقومات قيام الحضارة فى مصر

لابد وأن من قَدَّر مصر أن منحها الله مقومات طبيعية أسهمت فى قيام حضارة مزدهرة رائدة فى تاريخ حضارات العالم القديم.

ولعل تكوين أرض مصر هو من أهم هذه المقومات الطبيعية، فهى تجمع بين الأرض المنبسطة، والصحراوات الشاسعة، والتلال والهضاب التى لا تعوق حركة الاتصال بين تجمعات السكان فى كل مكان على أرض مصر؛ ثم الأرض الخصبة الواقعة على ضفتى نهر النيل، والتى تضمها بئراء دلتا مصر وواديها.

ثم هناك الموقع الجغرافى المتميز عند ملتقى قارات ثلاث، هى آسيا وأفريقيا وأوروبا، مما سهَّل لها الاتصال والتأثير والتأثر بالحضارات التى قامت فى هذه القارات.

أما نهر النيل فهو عامل رئيس فى نشأة الحضارة فى مصر، إذ يخترق البلاد من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، ويمر عبر أراضيها حاملاً لأرض مصر وللإنسان المصرى كلَّ الخير والرخاء. والمعروف أن المصدر الثابت للمياه يسهم فى دفع عجلة الرخاء والحضارة على نحو أفضل كثيراً من المصادر المؤقتة للمياه كالأمطار.

كذلك فقد توفرت لمصر حدود طبيعية آمنة، صحراوات فى الشرق والغرب، وجنادل (كتل صخرية ضخمة) فى الجنوب فى قلب نهر النيل، والبحر المتوسط فى الشمال؛ وكلها عوائق طبيعية تقف حجر عثرة فى وجه كل من يفكر فى غزو مصر من أية جهة، وتحقق لها قدراً لا بأس به من الأمن والاستقرار.

ثم هناك المناخ المستقر الذى جلب الخير لمصر وللمصريين. وهذا بالإضافة إلى وحدة الجنس واللغة، وتوافر الكثير من المواد الأولية.

وفوق كل هذا وذاك، كان هناك الإنسان المصرى الذى كان مؤهلاً للإبداع الحضارى، فتفاعل مع كل المقومات وأحسن توظيفها والاستفادة منها؛ وكان من نتاج هذا التفاعل الخلاق هذا الإبداع الحضارى المتميز الذى شهدته أرض مصر على مر العصور.¹

الجنس الذى ينتمى إليه الشعب المصرى القديم:

يمكن القول بوجه عام أن المصريين ينتمون إلى الجنس الحامى السامى. ويبدو أن العنصر الحامى هو أول العناصر التى حلت بمصر، ثم أخذت بعض الجماعات السامية تقد إليها عن طريق شبه جزيرة سيناء، وربما من بعض جزر البحر المتوسط فى الشمال، واختلطت بالسكان الأصليين، فانصهروا جميعاً فى بوتقة واحدة، ليصبحوا جنساً واحداً يتحدث لغة واحدة، هى اللغة المصرية القديمة، والتى جاءت مزيجاً من تأثيرات سامية، وأخرى حامية أقل غلبة.²

وقد اعتبر المصريون أنفسهم وطنيين أصليين، نشأوا فى وطنهم دون أن يتأثروا بأية عوامل أو تأثيرات أجنبية؛ فقد كانت مصر فى نظرهم

¹ عن المقومات الطبيعية فى مصر وموقعها الجغرافى المتميز؛ راجع: جمال حمدان، شخصية مصر (دراسة فى عبقريّة المكان)، ٤ أجزاء (دار الهلال، ١٩٩٤ م).

² وعلى العموم فاللغة المصرية القديمة تميل إلى الطائفة السامية أكثر من ميلها إلى الحامية، ومع ذلك فهى لغة عاشت فى بقعة من الأرض لا يمكن أن تنقطع عن الجهات الأخرى، فاتصلت بها شعوب البربر فى الشمال، والصوماليون والنوبيون فى الجنوب، والقبائل والشعوب السامية فى الشرق، ولذا تأثرت اللغة المصرية بكل هذه اللغات وأثرت فيها؛ راجع عبد الحميد زايد، "نظرات عابرة فى العلاقات بين لغات الشرق الأدنى القديم"، مجلة عالم الفكر، مج ٢، العدد الثالث، ج ١: ١٧٨-٢٠٣؛ عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وأثارها، ج ١ (القاهرة، ط ٣ ١٩٩٢)، ١٢-٣٠؛ انظر أيضاً: تريجر، "نشأة المدينة المصرية: اللغة"، (فى) ب.ج. تريجر، ب.ج. كمب، د. أوكونر، ألان ب. لويد، مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى (٢٠٠٠ م)، ٢٥-٢٦.

الأرض الوحيدة الخصبة، أما غيرها من الأراضي الأجنبية فهي صحارى وهضاب. وأرض مصر هي موطن الأرباب ومركز الكون وأصل الخليقة؛ ونيل مصر هو النهر المثالى فى جريانه ونظامه، فإذا رأى المصريون نهراً آخر تجرى مياهه عكس جريان النيل (كنهر الفرات) أسموه بالنهر ذى المياه المعكوسة^٣.

أما عن المميزات الأنثروبولوجية للإنسان المصرى القديم، فتتلخص فى أن متوسط طول قامته بلغ حوالى ١٦٠ سم، وأن شعره أسود اللون مجعد؛ وكانت الرأس مستطيلة وكذلك الوجه، وتميزت الأنف بأنها أقل عرضاً من أنف الزنجرى، والذقن بأنها مدببة، والأسنان بأنها متوسطة الحجم^٤.

العصور التاريخية التى مرت بها مصر

هناك تقسيما ل هذه العصور، التقسيم القديم يرجع إلى المؤرخ المصرى القديم "مانيتون"، والتقسيم الحديث هو تقسيم المؤرخين المحدثين والمعاصرين. أما عن تقسيم "مانيتون"، فإنه يقوم على أساس الأسرات، حيث قسم التاريخ المصرى القديم إلى ثلاثين أسرة، تضم كل أسرة مجموعة من الملوك. وقد اعتمد فى هذا التقسيم على المصادر التى توافرت لديه. أما عن تقسيم المؤرخين المحدثين والمعاصرين، فإنه يقوم على أساس العصور، بحيث يتضمن كل عصر مجموعة من الأسرات، على النحو التالى:

^٣ عبد الحميد زايد، مصر الخالدة، دار الكتب المصرية (القاهرة، ١٩٦٦)، ج ١: ٣٥؛ ط تاريخ المصريين عدد ٢٢٢ (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢ م)، ج ١: ٣٥.

^٤ للمزيد انظر: جمال حمدان، شخصية مصر (القاهرة، ١٩٩٤)، ج ٢: ٢٥٥-٣٥٩ (الفصل ١٩: التجانس البشرى)؛ انظر أيضاً: تريجر، "نشأة المدينة المصرية: القسامات الأنثروبولوجية"، فى: تريجر، كمب، أوكونر، لويد، مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى، ٢٦-٢٧.

- ١- **عصور ما قبل التاريخ:** ويصعب تحديد بدايتها، وتتضمن العصور الحجرية (القديم، والوسيط، والحديث)، والحجرى النحاسى، وما قبل الأسرات، والأسرتين "صفرين"، "صفر".
 - ٢- **عصر الدولة القديمة:** ويتضمن الأسرات (من ١-٨) بين القرنين (٣١ - ٢٢ ق.م). وينقسم إلى:
 - أ- العصر العتيق: الأسرتان ١-٢ (بين القرنين ٣١-٢٩ ق.م).
 - ب- عصر بناء الأهرام: الأسرات ٣-٦ (بين القرنين ٢٨-٢٢ ق.م).
 - ج- مرحلة الانهيار: (الأسرتان ٧، ٨) (القرن ٢٢ ق.م).
 - ٣- **عصر الانتقال الأول:** الأسرتان ٩-١٠ (بين القرنين ٢٢-٢١ ق.م).
 - ٤- **عصر الدولة الوسطى:** الأسرتان ١١-١٢ (بين القرنين ٢٢-١٨ ق.م).
 - ٥- **عصر الانتقال الثانى والهكسوس:** الأسرات ١٣-١٧ (بين القرنين ١٨-١٧ ق.م).
 - ٦- **عصر الدولة الحديثة:** الأسرات ١٨-٢٠ (القرنان ١٦-١١ ق.م).
 - ٧- **العصور المتأخرة:** الأسرات ٢١-٣١ (القرنان ١١-٤ ق.م).
- وقد انتهت عصور الأسرات المصرية من تاريخ مصر القديمة بدخول "الاسكندر الأكبر" مصر عام ٣٣٢ قبل الميلاد.

عرض موجز للتاريخ المصري القديم

بدأت المراحل الأولى للحضارة المصرية (شأنها في ذلك شأن أية حضارة قديمة) بفترة عصور ما قبل التاريخ، وهى الفترة التى تمثل أولى خطوات الإنسان المصرى نحو بناء حضارته. وقد عاش الإنسان فى بداية هذه الفترة جامعاً للقوت، ثم تحول فى نهايتها إلى منتج له، بعد أن نجح فى استئناس بعض الحيوانات، وإشعال النار، ومعرفة الزراعة.

ومع بداية العصور التاريخية اكتشف المصرى الكتابة، وتحقق لمصر الاستقرار السياسى بإتمام الوحدة بين الشمال والجنوب على يد الملك "نعرمر" بعد محاولات كثيرة بذلها أسلافه.

وفى فترة الأسرتين الأولى والثانية (العصر العتيق)، أخذ المصريون يبنون بخطوات ثابتة أسس حضارتهم فى جميع المجالات الداخلية والخارجية؛ فنظموا الإدارات، واتخذوا لأنفسهم طرازاً معمارياً أخذوا يطورونه بمرور الزمن، كما أدركوا قواعد للفن حاولوا اتباعها طوال العصور المصرية، وبدأوا يستخرجون النحاس من سيناء، ويتجهون إلى أقصى جنوب مصر (منطقة النوبة) لجلب خيراتها.

ويعرف عن هذه الفترة أن وحدة البلاد قد تعرضت خلالها للتمزق نتيجة للصراع الدينى بين أنصار الإلهين "حور"، و"ست".

وإذا ما انتقلنا إلى الأسرة الثالثة، نرى أنها تمثل مرحلة ابتكار فى مجال العمارة التى تطورت من استخدام الطوب اللبن فى البناء إلى الحجر، وتغير شكل المقبرة من مصطبة مستطيلة إلى مصطبة مدرجة من الحجر (الهرم المدرج). ولعل خير شاهد على هذه المرحلة المعمارية الجديدة، المجموعة الجنائزية للملك "زوسر" فى "سقارة"، والتى أشرف على بنائها مهندسها "إيمحتب".

ويتميز عصر الدولة القديمة بوجه عام بعدة ظواهر، أهمها أنه عصر العمارة الضخمة المتمثلة في الأهرامات، ولهذا سماه المؤرخون "عصر بناء الأهرام"، حيث تنتشر هذه الأبنية في مناطق: (أبو رواش، والجيزة، وأبو صير، وسقارة، ودهشور، وميدوم، وغيرها).

وتتميز هذا العصر أيضاً بالاستقرار الذي تزدهر في ظلّه الصناعات والفنون، وبأن حضارته حضارة مصرية صميّة، قامت على أكتاف أبناء مصر معتمدة على مواردها الداخلية.

وإذا ما عرجنا إلى الأسرة الرابعة، نجد أن الشكل الهرمي للمقبرة قد اكتمل في عصرها، وقد تحقق ذلك في الهرم الشمالي للملك "سنفرو" في "دهشور". وفي الوقت الذي تتميز فيه عمارة الأسرة الرابعة بالضخامة، فإنها تخلو في معظم الحالات من العناصر الزخرفية والجمالية.

أما عن الأسرة الخامسة، فقد تميز عصرها بنزعة دينية تمثلت في ازدياد نفوذ عبّاد الشمس، كما تميز بنوع من الحرية، فلم يعد الحاجز قوياً بين الملك وكبار رجال الدولة الذين أصبح من حقهم بناء مقابر ضخمة تزين النقوش جدرانها، معبرة عن سلطانهم وترفهم، ولم يعد حق إقامة التماثيل وغيرها قاصراً على الملوك فحسب - كما كان الحال في الأسرة الرابعة - بل تعداه إلى كبار رجال الدولة.

ومن الظواهر البارزة في هذه الأسرة أيضاً اتساع حركة الرحلات والتجارة الخارجية، وانتشار العنصر الزخرفي في العمارة، مع الحد من ضخامة المنشآت.

وإذا كانت فترة الأسرة الرابعة هي فترة المركزية، فإن الأسرة السادسة شهدت طفرة واسعة نحو اللامركزية. ففي الوقت الذي أخذت فيه سلطة الملك تقل تدريجياً، حتى أخذ كبار رجال الدولة يحصلون على العديد من المميزات، فقد أصبح حكام الأقاليم بمثابة ملوك في أقاليمهم.

ومما يلفت النظر أيضاً بالنسبة للأسرة السادسة، تلك البعثات التجارية العديدة التي كانت ترسل إلى الجنوب، والتي كانت تحرسها حاميات مسلحة، كما اضطر الأمر في بعض الأحيان إلى إرسال حملات تأديبية ضد القبائل التي تتعرض لهذه البعثات.

ومن أهم رحالة هذا العصر "حرخوف" الذي سجل أخبار رحلاته على جدران مقبرته في أسوان؛ و: "ونى" الذي كُلف في إحدى المرات بمهمة تأديب البدو.

وبمرور الوقت أخذت سلطة الملوك في الانهيار، مما عجل بنهاية الأسرة السادسة التي أعقبتها ثورة اجتماعية قام بها الشعب المصري بعد أن عمّت الفوضى البلاد، وكان هو ضحيتها. فكان لا بد من أن يحصل الشعب على حقوقه، إلا أنه عبّر عن غضبه بتحطيم كل ما أمكن تحطيمه من آثار الملوك، ووصل الأمر إلى عملية نهب واسعة لمقابر الملوك والأفراد.

وقد صورت بعض الوثائق أحداث هذه الثورة، ومن أهمها بردية "إيبو-ور" التي ذكرت أن الناس قد امتنعوا عن دفع الضرائب، وأنه لم يعد بوسعهم حرث حقولهم، وأنهم هاجموا مخازن الحكومة، وأنهم كانوا يلقون بأطفالهم في الطرقات لعدم قدرتهم على إعالتهم لشدة ما أصاب البلاد من قحط وفقر وخراب.

وقد تحقق للمصري ما أراد بهذه الثورة، فحصل على كافة حقوقه، وأصبح يعامل في العالم الآخر معاملة الإله "أوزير"، شأنه في ذلك شأن الملوك.

وفي نهاية فترة الضعف في نهاية الدولة القديمة، وهي الفترة التي حدثت فيها الثورة الاجتماعية، دار صراع بين حكام "إهناسيا" في مصر الوسطى، وحكام "طيبة" في الجنوب (في الأسرتين التاسعة والعاشرة)، فقد حاول كل من الفريقين الاستيلاء على حكم مصر.

ومع بداية الأسرة الحادية عشرة والدولة الوسطى، عادت الوحدة لمصر، واستعاد ملوكها سلطانهم. وكان من نتيجة ذلك أن ازدهرت الزراعة نتيجة إقامة

العديد من مشروعات الرى فى منطقة "الفيوم"؛ كما ازدهر الفن واللغة، والأدب. وأود أن أشير إلى أن هذا العصر هو عصر الكمال بالنسبة للغة المصرية القديمة. وفى مجال الأدب يكفيننا أن نشير إلى بعض القطع الأدبية المتميزة، كقصص "سنوهى"، و"الملاح الناجى من الغرق"، و"الفلاح الفصيح".

وفى هذا العصر أيضاً اتسعت دائرة العلاقات بين مصر والبلدان المجاورة. وانتهت الأسرة الثانية عشرة والدولة الوسطى بمحنة وطنية، وأقصد بذلك غزو "الهكسوس"⁵ لمصر، ويعرف هذا العصر بعصر الانتقال الثانى (الأسرات ١٣-١٧).

ولقد كافح الشعب المصرى كفاحاً مريراً من أجل تحرير بلده من الغزاة، فحاربهم بسلاحهم الجديد الذى كانوا قد جلبوه معهم إلى مصر، وهو العجلات الحربية؛ أى أن المصريين نجحوا فى استيعاب وصناعة هذا السلاح الجديد، ثم ردوه إلى صدر عدوهم، وانتصروا به عليه.

وقد تحمل حكام الصعيد الجانب الأكبر من مسئولية تحرير مصر من دنس "الهكسوس"، وكان آخرهم "أحمس الأول"، أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة، والذى أتم نضال أبيه وأخيه ضد الغزاة، فقام بطردهم ومطاردتهم حتى حدود مصر، فعاد إلى البلاد استقلالها واستقرارها.

ويبدو أن المصريين قد تعلموا درساً قاسياً من احتلال "الهكسوس" لأرضهم، فبدأوا ينتهجون سياسة جديدة، وهى أن الهجوم خير وسيلة للدفاع، فانطلقوا خارج حدودهم لتأمينها ضد أى غزو أجنبى، ووجدوا أنه لا بأس من احتلال جزء من أرض بعض الدول المجاورة لتكون بمثابة خطوط دفاع بالنسبة لهم.

⁵ كلمة "هكسوس" مشتقة من الكلمة المرقية المصرية القديمة: "حقاو - خاسوت"، أى: "حكام البلاد الأجنبية"؛ وهم قبائل كانت تقطن فى أواسط آسيا، واندفعت فى صورة جماعات غير منظمة نحو حدود مصر الشرقية، وتمكنت من السيطرة على البلاد.

ومنذ ذلك الوقت دخلت مصر فى مرحلة بناء الامبراطورية التى استمرت طوال فترة الأسرات الثلاثة (من الثامنة عشرة إلى العشرين)؛ ففرى العديد من ملوك هذه الفترة يخرجون على رأس حملات حربية لاحتلال هذا الجزء أو ذاك، أو حملات تأديبية ضد أى إقليم عند الخروج على طاعة مصر، أو تهديد أمنها.

وكان من نتيجة اتساع حدود الامبراطورية، أن ازدادت تجارة مصر الخارجية مع الشعوب الأخرى، كما ازدادت مواردها بصورة كبيرة من جرّاء الجزية التى كان حكام الأقاليم الخاضعة لمصر يقدمونها للفرعون استرضاءً له، وأملاً فى الحصول على عفوه.

وأدى ازدياد الموارد إلى ازدهار فى مختلف المجالات، ويكفى أن نشير إلى بعض المنشآت المعمارية الضخمة التى تمت فى هذه الفترة، ومنها على سبيل المثال: معابد الكرنك، والأقصر، والرمسيوم، والدير البحرى، وهابو، وأبوسمبل، ومئات المقابر لملوك وأفراد.

ويعتبر "تحتمس الثالث" أشهر الملوك المحاربين؛ نظراً لما حققه من انتصارات باهرة. ومن ناحية أخرى لا بد من أن نشير إلى الثورة الدينية التى جرت فى الأسرة الثامنة عشرة فى عهد الملك "أخناتون"، عندما أبطل عبادة جميع آلهة مصر، بما فيهم "آمون" رب الامبراطورية، وطلب من الشعب المصرى والشعوب التى تدخل فى نطاق الامبراطورية -أن يعبدوا إلهه "أتون" الذى يمثل صورة من صور الشمس، أو القوة الكامنة فيها.

ويعتبر "أخناتون" بلا شك أول المفكرين الذين نادوا بالوحدانية طبقاً لمفهوم المصرى القديم فى هذا العصر، ولم يُقدّر لهذا الاتجاه الدينى أن يدوم، فانتهى بموت "أخناتون"، وساعد على نهايته جيروت كهنة "آمون" الذين اتبعوا خطأً معادياً لهذا الدين الجديد.

وفى الأسرة التاسعة عشرة، استمر اتجاه التوسع أو الاتجاه العسكرى، ونجحت مصر فى المحافظة على حدودها، ومن أشهر ملوك هذه الأسرة الملك "رعمسيس الثانى".

وظل نفس الاتجاه قائماً فى الأسرة العشرين، وإن لم يعد بنفس القوة كما كان الحال فى الأسرتين السابقتين. ولقد تعرضت مصر لمحاولات غزو عن طريق البحر، قامت بها الشعوب التى عُرفت باسم "شعوب البحر". وقد نجح الملك "رعمسيس الثالث" فى صد هذه الغزوات. وبعد عهد "رعمسيس الثالث" حكم مصر مجموعة من الملوك الضعاف، مما عجل بنهاية الأسرة العشرين.

وفى الأسرة الحادية والعشرين تفتتت وحدة البلاد، وبدأ الصراع بين حكام الجنوب فى "طيبة" ممثلين فى كهنة "آمون"، وبين حكام الشمال ممثلين فى حكام "تانيس" (صان الحجر حالياً) فى شرق الدلتا. وكان عهد هذه الأسرة عهد هدوء وسلام خارجى، ولم يقدر لهذه الأسرة أن تستمر فى حكم البلاد لضعف حكامها، وصراعهم من أجل السلطة.

وفى الوقت نفسه كانت بعض القبائل -التي تقطن على حدود مصر الغربية- ترقب الأحداث، ولما وجدت الفرصة مواتية ضربت ضربتها، وبدأت حكم مصر بتكوين الأسرة الثانية والعشرين التى تعرف بالأسرة الليبية، وأشهر ملوكها "شاشانق".

وتعتبر فترة الأسرتين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين فترة غموض فى تاريخ مصر القديم، وظل الأمر غامضاً إلى أن تمكن حكام النوبة العليا من احتلال مصر، وتكوين الأسرة الخامسة والعشرين، وأشهر ملوكها الملك "پعنخى".

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أخذت بعض الشعوب المجاورة تطمع هى الأخرى فى احتلال مصر؛ فعندما أدرك الآشوريون ضعف مصر، بدأوا فى غزوها أثناء حكم مملكة "نباتا"، ونجحوا فى السيطرة على جزء من الدلتا، وانتهت الأسرة الخامسة والعشرون.

وظل الآشوريون يحتفظون بهذا الجزء من أرض مصر، إلى أن قُدر لها أن تتحرر مع بداية الأسرة السادسة والعشرين التي حاولت أن تعيد للبلاد شيئاً من مجدها الغابر. وقد كان لهم ما أرادوا، فحرصوا على أن يحققوا الأصالة المصرية في فنونهم وفي كافة مظاهر حياتهم، فرجعوا لتقاليد الماضي تشبثاً منهم بحضارة أجدادهم، وخصوصاً تلك التي تحققت في الدولة القديمة.

وانتهت صحو مصر بنهاية هذه الأسرة باحتلال الفرس لمصر على يد قائدهم "قمبيز"، لتبدأ الأسرة السابعة والعشرون (الأسرة الفارسية). وإذا كان الفرس قد نجحوا في احتلال مصر، فإن القوة الأخرى في هذا الوقت - وهي بلاد اليونان - كانت تقف لهم بالمرصاد.

ونجح المصريون بجهودهم وبالمساعدات الخارجية في طرد الفرس. ومرت مصر بفترة الأسرتين الثامنة والعشرين، والتاسعة والعشرين، وهي فترة غموض أخرى في تاريخنا القديم، إلا أنه قد أصبح واضحاً مدى تغلغل النفوذ اليوناني في مصر في هذه الفترة.

وكانت الأسرة الثلاثون أسرة مصرية صميّة، ومرة أخرى تعرضت البلاد لغزو الفرس، إلا أن رد فعل الشعب المصري كان قوياً؛ فقام بعدد من الثورات ضد الغزاة، وظل الأمر هكذا إلى أن نجح "الاسكندر الأكبر المقدوني" في طرد الفرس من مصر.

وهكذا تخلصت مصر من غازٍ لتقع في قبضة غازٍ جديد، وإن اختلفت طبيعة كل منهما عن الآخر. وأخيراً كانت الأسرة الحادية والثلاثون التي مثلها الملك الثائر ضد الفرس، "خاباباشا".

وقد بدأ الاحتلال المقدوني لمصر عام ٣٣٢ قبل الميلاد بدخول "الاسكندر الأكبر" مصر، وانتقل الحكم إلى البطالمة من عام ٣٠٦ ق.م، واستمر حتى عام ٣٠ ق.م، حين نجح الرومان في غزو مصر بعد معركة "أكتيوم" البحرية، وظلوا بها حتى الفتح العربي لمصر عام ٦٤١ م.

مصادر كتابة التاريخ المصري

اعتمد مؤرخو التاريخ المصري القديم في تسجيل أحداث هذا التاريخ على المصادر الأربعة الآتية: الآثار، ووثائق الحضارات المعاصرة، وكتابات الرحالة اليونان والرومان، والكتب المقدسة (العهد القديم، والقرآن الكريم).

١ - الآثار المصرية

ويقصد بها كل ما خلفته الحضارة المصرية القديمة من تراث، مكتوباً كان^٦ أم غير مكتوب؛ كالأهرامات والمعابد والمقابر، وأوراق البردى^٧، واللوحات الجنائزية، والتوابيت، إلخ.

وليس من شك في أن هذا المصدر هو من أهم وأصدق مصادر دراسة التاريخ المصري القديم. ورغم هذا لا يمكن للباحث المدقق أن يأخذ بكل ما سُجل على الآثار كحقائق مسلم بها؛ لأن المصريين القدماء لم يكتبوا بقصد تسجيل الأحداث التاريخية بمفهومنا الحالي، فجاء بعض ما سجلوه غير معبر عن كل الحقيقة. ونضرب مثلاً على ذلك ادعاء بعض الملوك بأنهم قد أحرزوا نصراً حاسماً في معركة معينة، على الرغم من أن الواقع والمصادر الأخرى التي نتحدث عن نفس المعركة لا يمكن أن تؤكد هذا النصر الحاسم. وليس أمام الباحث من طريق سوى عقد مقارنة موضوعية بين المصادر ليتوصل إلى الحقيقة، أو ما يقرب منها.

٢ - مصادر الحضارات المعاصرة

ويقصد بها ما ورد في كتابات الحضارات المعاصرة للحضارة المصرية القديمة، كالحضارات: البابلية، والآشورية، والفينيقية، والحيثية، واليونانية، وغيرها.

وإذا كان التدقيق مطلوباً عند الرجوع للآثار المصرية، فذلك واجب أيضاً فيما يتعلق بما ذكرته مثل هذه المصادر التي لم تكن موضوعية أو منهجية أو صادقة في تناول وتسجيل الأحداث في بعض الأحوال، لا سيما إذا كان من شأن

^٦ هناك دراسة حديثة قيمة عن المصادر الأدبية (الآثرية) للتاريخ المصري القديم، وهي:
- Waheid M. Shoaib, 'Literary Sources for Ancient Egyptian History', in: *AJA-Cairo* 5 (Jan. 2004), 13- 40.

^٧ عن أهمية البردى في الحضارة المصرية، انظر: محمد محمد الصغير، البردى واللوتس في الحضارة المصرية القديمة، رسالة ماجستير في الآثار المصرية، كلية الآثار (جامعة القاهرة، ١٩٧٦ م).

مثل هذه الكتابات ما يخدم أهدافاً لأصحابها، أو يقلل من أهمية حدثٍ أو يرفع من شأن حدث آخر لبواعث قد تخفى علينا أو تتضح لنا من السياق التاريخي الذي قد نتخيله أو نستوثق منه من خلال عدد من المصادر.

٣- كتابات الرحالة اليونان والرومان^٨

والمصدر الثالث يمثل ما ورد في كتابات الرحالة اليونان والرومان الذين زاروا مصر في فترات مختلفة ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد، وحتى القرن الثاني للميلاد.

ويعتبر هذا المصدر أقل المصادر دقة لأسباب عدة، منها أن هؤلاء الرحالة لم يكونوا على علم باللغة المصرية القديمة عندما زاروا مصر، فاعتمدوا في تسجيل الأحداث على التراجم والوسطاء والروايات أكثر من الاعتماد على الوثائق المصرية، فجاءت كتاباتهم مبتورة ومشوهة، بل ومنافية للحقائق في كثير الأحيان. ويكفى أن يرجع القارئ إلى كتابات "هيرودوت" عن مصر ليلاحظ ما فيها من التجني وعدم الموضوعية في معظم ما ذكر عن مصر وشعبها.

ومن الأسباب أيضاً، أنهم زاروا مصر في فترات ضعفتها، أو كانت بلادهم في حالة عداوة مع مصر. ومنهم من روى العديد من الحكايات نقلاً عن كهنتها، ومنهم -على سبيل المثال- المؤرخ الإغريقي (Herodotus) "هيرودوت الهاليكارناسوسي"، وذلك في الجزء الثاني من كتبه التسعة (التاريخ)^٩، والذي

^٨ عواطف محمد محمد حمادة متولى، الآثار المصرية القديمة في المؤلفات الكلاسيكية - دراسة مقارنة في ضوء الكشف الحديثة، رسالة ماجستير في الآثار المصرية، إشراف: أ.د. عبد العزيز صالح، كلية الآثار (جامعة القاهرة، ١٩٨٠ م).

^٩ معنى اسم "هيرودوت" هو: "عطية هيرا" (معبودة الإغريق المعروفة)، وهو ابن "لوكسوس" واسم أمه "دروي"، أما كنيته (هاليكارناسوسي) فهي نسبة إلى مولده في "هاليكارناسوس" (عام ٤٨٩ أو ٤٨٥ ق.م)، وهي إحدى مدائن الركن الجنوبي الغربي من آسيا الصغرى، واسمها الحديث (Budrum) (بودروم) وموقعها إقليم "كاريا"؛ راجع مقدمة أحمد بدوي في: هيردوت يتحدث عن مصر، ترجم الأحاديث عن الإغريقية: محمد صقر خفاجة، قدم لها وتولى شرحها: أحمد بدوي، دار القلم (القاهرة، ١٩٦٦)، ١٢ وما بعدها.

أفرده لمصر بعد زيارته إياها في منتصف القرن الخامس ق.م (حوالي ٤٤٠ ق.م) إبان حكم الفرس لها^{١٠} (٥٢٥-٤٠٥ ق.م) بعد عهد الملك "دارا" (٥٢١-٤٨٦ ق.م).

و"ديودور الصقلي"^{١١} عند زيارته لمصر في منتصف القرن الأول قبل الميلاد (حوالي ٥٩-٥٧ ق.م) في الكتاب الأول (عن مصر) من مؤلفه (خزانة التاريخ)^{١٢}.

والجغرافي الإغريقي "استرابون البونتي" (حوالي ٥٨ ق.م - ٢١/٢٥ م) في الجزء الأول من كتابه السابع عشر من مؤلفه (الجغرافيا)^{١٣}. والمؤرخ الإغريقي المولد، الروماني الجنسية "بلوتارخ الخايريوني" (٥٠-١٢٥ م) في كتابه (إيزيس وأوزيريس)^{١٤}.

وهناك غيرهم الكثير، من أمثال الروماني "بليني الأكبر" (٢٣-٧٩ م)، في الجزء الثالث من كتابه (بحث في الطبيعيات)^{١٥}؛ والمؤرخ "إيليان"^{١٦}؛ والكاتب اليوناني والشاعر الهجاء "لوسيان" (حوالي ١٢٥ م) في مؤلفيه العظيمين: (حوار الأرباب: *Dialogues of the Gods*)، و: (حوار الموتى: *Dialogues of the Dead*). ويتحدث الكتابان الأخيران غالباً عن ثور "منف" المقدس "حپ" (أبيس).

¹⁰ راجع مقدمة أحمد بدوي في: هيردوت يتحدث عن مصر، ٢٤-٢٥ وما بعدها.

¹¹ C. H. Old Father, *Diodorus of Sicily*, English Translation, Book 1 (London, 1946).

¹² ديودور الصقلي في مصر (القرن الأول قبل الميلاد)، نقله من اليونانية: وهيب كامل، دار المعارف (القاهرة، ١٩٤٧).

¹³ استرابون (البونتي)، استرابون في مصر، القرن الأول قبل الميلاد، نقله من اليونانية: وهيب كامل، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، ١٩٥٣).

¹⁴ See: W. Spiegelberg, 'Miscellen: Zu der Ethnologie von Memphis bei Plutarch, Isis und Osiris', *ZÄS* 49 (1911), 129-130; also: J. G. Griffiths, *Plutarch's, De Iside et Osiride* (Wales, 1970).

¹⁵ See: Pliny, *Natural History*, with English Translation by H. Rackham, in 10 Volumes (London, 1956).

¹⁶ See: Aelian, *On The Characteristics of Animals*, English Translation by A. F. Scholfield, vol. 2 (London, 1959).

٤ - الكتب المقدسة (العهد القديم، والقرآن الكريم).

ورد في الكتابين المقدسين إشارات إلى مواقع قديمة وأحداث تاريخية، غير أنهما لا يقدمان عرضاً مفصلاً إلا لأحداث بعينها، لذلك يميل المؤرخون للاعتماد على آثار المصريين القدماء باعتبارها شواهد حية معاصرة من أقرب المصادر لكتابة تاريخهم.

القوائم المصرية القديمة لأسماء الملوك

تحدثنا في الصفحات السابقة عن مصادر التاريخ المصري القديم، وكان على رأسها التراث الأثرى المصري القديم باعتباره المصدر الأول والأهم لكونه مصدراً أصيلاً ومعاصراً للحضارة موضع الدراسة.

ونتحدث الآن عن أحد أهم مصادر التاريخ المصري القديم، ألا وهو القوائم المصرية القديمة لأسماء الملوك، والتي تضمنت - فى الغالب - أسماء كل حكام مصر عبر عصورها القديمة منذ الوحدة، وحتى نهاية عصر الأسرات المصرية القديمة، وربما أسقطت جميعها أو تجاهلت عدداً من الحكام، إلا أنها فى المجموع قد أحاطت بذكر أسماء ملوك مصر القدامى، وإن تفاوتت فيما بينها فى إجمال وتفصيل هؤلاء الحكام، حيث خلت بعض القوائم من أسماء معينة، فى حين ذكرتهم بعض القوائم وأغفلت آخرين. وعلى أية حال سنشير فيما يلى إلى هذه القوائم ومحتوياتها بإيجاز.

أولاً: ما ينتمى إلى الدولة القديمة:

- حجر "پالرمو":

يؤرخ هذا الأثر تحديداً بعهد الملك "جد-كا-رع، إيسى" (٢٣٤٠-٢٣١٢ ق.م) قرب نهاية الأسرة الخامسة، أى أنه صُنع فى العصور المنفية أيام الدولة القديمة على يد الصناع والنحاتين المنفيين فى مدراس "منف" الفنية.


وهو عبارة عن لوح كبير من حجر الديوريت الأسود، ولسبب ما تم تحطيم هذا الحجر^{١٧}، ولم يُعثر منه إلا على ست قطع، أو سبع^{١٨}.

ويُنسب ذلك الحجر إلى الكتلة الرئيسية منه الموجودة منذ عام ١٨٧٧م في متحف مدينة "بالرمو" عاصمة جزيرة "صقلية" بإيطاليا^{١٩}، وهي أكبر تلك القطع، ويبلغ طولها ٤٣,٥ سم، وعرضها ٢٥ سم.

وتوجد من الحجر أربع قطع أخرى في المتحف المصري بالقاهرة^{٢٠}، منها ثلاث قطع (Cairo Mus. JE. 39734, 39735, 44859) ذُكر أنه تم العثور عليها في "الشرفا-الشيخ مبارك" بالقرب من مدينة "المنيا"^{٢١}.

أما القطعة السادسة فصغيرة الحجم، وتوجد في متحف جامعة لندن (University College) ببريطانيا^{٢٢}.

وأما القطعة السابعة والأخيرة - والتي ذكرها "رمضان عبده" - فقد تم العثور عليها حديثاً في مخازن متحف "اللوثر" في باريس^{٢٣}. لذلك أمكن ترميم كل اللوح بشئ من التأكيد، وعمل الدراسة عليه.

ويعتبر هذا الأثر وثيقة هامة لحوليات ملوك الدولة القديمة، حيث سُجِّل على وجهيه أسماء ومختصر تاريخ من حكموا مصر ابتداء من حكام ما قبيل الأسرات (ممن كانوا يسمون:  "شمسو حور"، أى: "أتباع حور"، وهم أولئك الملوك الذين حكموا مصر قبل الأسرة الأولى)، وحتى عهد ثالث ملوك الأسرة الخامسة؛ حيث أن آخر اسم هو اسم الملك "نفر-إر-كا - رع ، كاكاى" (٢٣٧٣-٢٣٦٣ ق.م)، مما يشير إلى أن الحجر قد نُقش

¹⁷ وعلى ما يبدو إن هذا الحجر قد حُطِمَ بسبب ما ألمَّ بمدينة منف من أهوال طووال تاريخها المصري القديم، من اجتياحات الجيوش الأجنبية لها، ثم ما حدث لها من تحطيم في العصر الروماني.

¹⁸ انظر: رمضان عبده على، تاريخ مصر القديم (ط ١٩٩٩)، ج ١: ٢١٠.

¹⁹ H. Schäfer, *Ein Bruchstück altägyptischer*, APAW, 1902, Nr. 1 (Berlin, 1902); W. Helck, *Palermostein*, LÄ IV (1982), 652-654.

²⁰ H. Gauthier, in: Maspero, *Le Musée égyptien* 3 (Le Caire, 1915), 29-54, pls. 24-31; Jean-Louis Cénivel, *BSFE* 44 (Dec. 1965), 13-17.

²¹ PM IV¹ (1934), 133.

²² W.M.F. Petrie, in: *Ancient Egypt* (1916), 114-119.

²³ رمضان عبده على، تاريخ مصر القديم (ط ١٩٩٩)، ج ١: ٢١٠.

فى نهاية الأسرة الخامسة، أو بداية السادسة. ومن المؤسف أن هذا الحجر لم يُعثر عليه كاملاً حتى يمكننا معرفة أغلب أحداث الدولة القديمة. ويبدو أن هذه اللوحة قد أقيمت فى معبد ما، وأنها كانت مقامة فى مكان ظاهر حتى يستطيع كل من يراها أن يقرأها من الأمام والخلف إذ نقشت على وجهيها. ويبدأ النص من الوجه الأمامى، ويستمر على الوجه الخلفى.

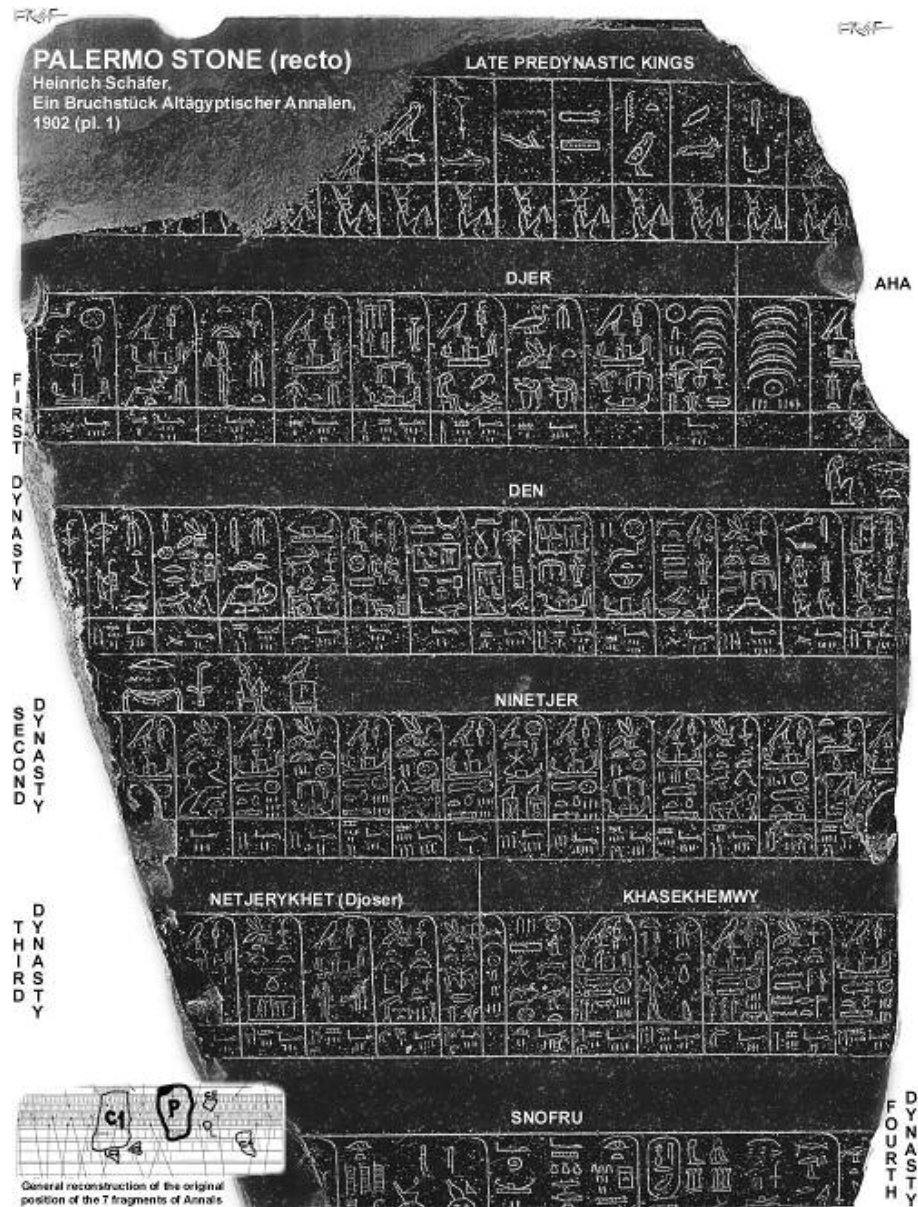
وكان كل وجه مقسماً إلى أقسام مختلفة، مربعات أو مستطيلات أفقية ورأسية، وفى كل خانة يوجد نص صغير يعبر عن اسم الملك، واسم أمه، وارتفاع فيضان النيل فى عهده عاماً بعد عام. وهذا الارتفاع كان يسجل فى سنوات حكم الملك الذى كان يحكم فى ذلك الوقت؛ وأيضاً تعداد الماشية، وكميات الذهب، وإحصاء الحقول، والأعياد الدينية الهامة أو الرسمية.

وبالإضافة إلى ذلك كان النص يشير إلى أحداث كل عام، وفى كثير من المرات يذكر لنا مراسيم احتفالات تتويج الملك.

وقد نجد أحياناً سطرأ واحداً من الكتابة فى كل خانة، وفى بعض الأحيان نجد أكثر من سطر. كذلك نجد مثل هذا التقسيم على الوجه الآخر (الخلفى)، ولكن بشكل أكثر اتساعاً نظراً لوجود أحداث كثيرة كان يجب تسجيلها، وربما ذلك لأن الأحداث المعاصرة نفسها كانت متعددة، خاصة مع قربنا من عهد كتابة اللوحة²⁴.

²⁴ انظر: عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ط ٣ (١٩٩٨)، ١٤؛ ط (٢٠٠٥)، ١٣-١٤؛ وكذلك: رمضان عيده على، تاريخ مصر القديم (ط ١٩٧٧ م)، ٥٣؛ ط (١٩٩٩)، ج ١: ٢١٠-٢١١؛ وأيضاً: والتر ب. إمري، مصر فى العصر العتيق، ترجمة: راشد محمد نويز، محمد على كمال الدين، مراجعة: محمد عبد المنعم أبو بكر (نهضة مصر، يناير ٢٠٠٠)، ١٠٣؛ وانظر أيضاً:

- Jürgen von Beckerath, 'Königslisten', *LA III* (1980), 534-535; W. Kaiser, *ZAS* 86 (1961), 39-61.



أسماء وأحداث عهود ملوك عصر ما قبل الأسرات وحتى عهد الملك "سنفرو" (الأسرة الرابعة)، وذلك على وجه "حجر بالرمو" (متحف بالرمو - صقلية، إيطاليا) – يرجع لأواخر عصر الأسرة الخامسة، أو بداية الأسرة السادسة.

ثانياً: ما ينتمى إلى الدولة الحديثة:

١- لوحة الكرنك (بمتحف اللوفر):

نقشت هذه اللوحة في عهد الملك "تحتمس الثالث" (١٥٠٤-٤٥٠ ق.م)، أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وكانت قائمة في حجرة صغيرة بجانب صالة الأعياد في معبد الكرنك^{٢٥}. وقد نقلت إلى متحف اللوفر بباريس. وتضم اللوحة أسماء واحد وستين ملكاً من أسلاف "تحتمس الثالث"، طُمس منها الاسم الأول، وتلاه اسم الملك "سنفرو" مؤسس الأسرة الرابعة، ثم أسماء ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة. وقد أسقط الكاتب أسماء ملوك الأسرات من السابعة حتى العاشرة؛ ثم نجد بعد ذلك أسماء بعض ملوك الدولة الوسطى. وتنتهي القائمة بمجموعة من أسماء ملوك الأسرات الثالثة عشرة، والرابعة عشرة، والسابعة عشرة.



أجزاء من "حجرة الأجداد" بالكرنك (حالياً بمتحف اللوفر)

²⁵ يطلق على هذه الحجرة أيضاً اصطلاح "حجرة الأجداد"؛ والسبب في ذلك هو الاعتقاد بأن أصحاب أسماء القائمة ربما كانوا من أجداده؛ انظر: سيد توفيق، معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، دار النهضة العربية (القاهرة، ١٩٩٠)، ٣٥.

٢- لوحة "أبيدوس" (فى معبد "أبيدوس")^{٢٦}

عُثِر على هذه اللوحة فيما يُعرف باسم "حجرة الأجداد" فى المعبد الذي أنشأه الملك "سيتى الأول" (ثانى ملوك الأسرة التاسعة عشرة)، وأتمه من بعده ابنه الملك "رعمسيس الثانى" فى "أبيدوس" (العراة المدفونة حالياً، مركز البلينا، محافظة سوهاج)^{٢٧}.

وترجع لعهد "سيتى الأول"، وقد صوّر عليها ومعه ابنه وولى عهده "رعمسيس الثانى" وهما يقدمان القرابين والدعوات إلى أسماء ستة وسبعين ملكاً من أسلافهما.

وتبدأ القائمة بأسماء ملوك الأسرة الأولى، وتنتهى بالملك "سيتى" نفسه، مع إغفال أسماء بعض الملوك من أسر مختلفة.



جزء من "قائمة أبيدوس" بحجرة الأجداد فى معبد الملك "سيتى الأول" فى "أبيدوس"

²⁶ See: Villiers Stuart & Nile Gleaning, *The Ethnology, History and Art of Ancient Egypt*, John Murray (London, 1879), Plate 53.

²⁷ عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة (ط٣، ١٩٩٨)، ١٤؛ (ط٢٠٠٥)، ١٤؛ وكذلك:

J. v. Beckerath, 'Königslisten', *LÄ III*, 534.

٣- لوحة "سقارة" (CG. 34516)^{٢٨}

وهى لوحة من الحجر الجيري، يتراوح طولها بين ٣١٨ ، ٣٢٥ سم، وارتفاعها ١٢٨ سم. وقد استقرت بالمتحف المصرى بالقاهرة بعدما كانت موجودة فى وقت سابق فى المتحف البريطانى فى لندن.

وقد عثر عليها "أوجست ماريت باشا" (عام ١٨٦٠/١٨٦١م) فى "سقارة" أكبر وأهم جبانات "منف"، وذلك فى مقبرة للكهنة والكاتب "ثونرى"^{٢٩} الذى عاش فى عهد الملك "رعمسيس الثانى" (١٢٧٩-١٢١٢ ق.م)، ثالث ملوك الأسرة التاسعة عشرة.

واللوحة كانت تضم على وجهيها قائمة بأسماء ثمانية وخمسين ملكاً، وقد كُتب اسم كل منهم داخل خرطوش ملكى، إلا أنه لم يتبق منهم سوى خمسين اسماً فقط، وذلك نتيجة تحطمها وفقدان بعض أجزائها. ويبدو أن من ذكر بهذه القائمة كان محل التبجيل والتكريم من جانب الملك "رعمسيس الثانى".

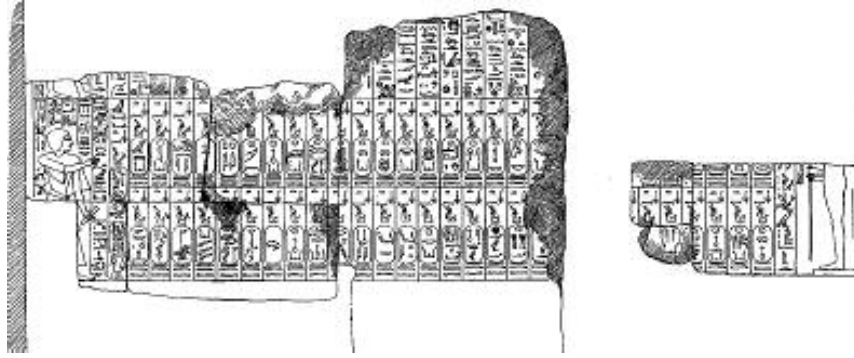
وتبدأ القائمة زمنياً - وليس فعلياً - بسادس ملوك الأسرة الأولى "عج-إب"، وتنتهى بالملك "رعمسيس الثانى" نفسه.

ولقد وضع فيها كل اسم فى خانة ملكية مستقلة. وتبدأ اللوحة بأسماء ملوك الأسرة التاسعة عشرة؛ حيث تبدأ بذكر آخر ملوكها حتى أولهم: مبتدئة بالملك "رعمسيس الثانى"، ثم "سيتى الأول"، ثم "رعمسيس الأول".

²⁸ *Cairo Mus. CG. 34516 A = JE. 11335 = SR. 11967.*

²⁹ الكاهن المرتل (*Twnrj* - ثونرى) صاحب تمثال المتحف المصرى برقم (*Cairo Mus. CG. 1105*) - هو أحد كهنة المعبود "پتاح" فى "منف" ممن حملوا لقب (المشرف على كل أعمال الملك المعمارية)، وذلك إبان عهد "رعمسيس الثانى". وهو أخو كل من: "پتاح-ام-ويا" (*Leiden Pyramidion AM 7 bis; Cairo Mus. Pyramidion CG. 17109 = JE. 8371 = Temp. Nr. 7/11/24/3; Cairo Mus. Jamb JE. 8383 = Temp. Nr. 6/11/26/5; Bologna, Museo Civico Panel of Pilaster no. 1891*)، والذى حمل ألقاب: (عظيم خدم پتاح - *mrw n Pth* (٣) - طاهر اليدين، المشرف على خزانة معبد ملايين سنين، رعمسيس الثانى فى معبد آمون بمنف، سليل الحسب والنسب (أو: الأمير الوراثى)، حامل ختم ملك مصر السفلى، السميع الأوحى، الساقى الملكى، والمشرف على ماشية رب الأرضين). وهو أيضاً شقيق "پا-حم-نثر" (*BM 167; Berlin 12410*) الذى حمل ألقاب (الكاتب الملكى، المرتل-وحم، كاهن پتاح المَطَهَر). انظر: باسم سمير الشرقاوى، كهنوت منف، ماجستير (٢٠٠٣)، ج١: ٤١٨-٤١٩.

وبنفس الترتيب العكسي، تبدأ أسماء ملوك الأسرة الثامنة عشرة، ولا تذكر إلا الملوك الشرعيين؛ ثم ملوك الأسرة الثانية عشرة، فالحادية عشرة، ثم بعد ذلك ملوك الأسرة السادسة. وهكذا حذفت اللوحة أسماء ملوك الأسرات العاشرة، والتاسعة، والثامنة، والسابعة، ثم ملوك الأسرات الخامسة، والرابعة، والثالثة، والثانية، والأولى. وتعتبر هذه القائمة من القوائم الواضحة التي تسمح لنا بمقارنة ما جاء في تاريخ "مانيتون" وقائمة ملوكه³⁰.



جزء من "قائمة سقارة" من مقبرة كاهن منف المرثل (*Twnrj*) "ثونرى" بسقارة من عصر الأسرة التاسعة عشرة، اكتشفها "أوجست مارييت" (١٨٦٠ م). المتحف المصري (حجر جيري: العرض ٣٢٥ سم، الارتفاع ١٢٨ سم) (Cairo Museum, CG. 34516 A = JE. 11335 = SR. 11967).

ويبدو من الجلى أن "ثونرى"، صاحب لوحة سقارة³¹، والذي كان منتمياً إلى عائلة كهنوتية منفية عريقة؛ كان مطلعاً على قوائم الملوك في المعبد

³⁰ رمضان عبده على، تاريخ مصر القديم، (ط ١٩٧٧) ج ١: ٥٦؛ (ط ١٩٩٩)، ج ١: ٢١٤؛ عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ١٤؛ وكذلك:

- A. Mariette, *Monuments divers recueillis en Égypte et en Nubie* (Paris, 1889), 19, Pl. 58; H. Kees, *Priestertum*, 110; see also: H. G. Fischer, '8. A Memphite High Priest and His Sister', in: *Egyptian Studies I: Varia*, The Metropolitan Museum of Art (New York, 1976), 64, Fig. 4; cf. J. Lieblein, *Hieroglyphisches Namen-Wörterbuch*, J. C. Hinrichs. (Leipzig, 1871), I: 307 (no. 953); T. G. H. James, *BM Hieroglyphic Texts from Egyptian Stelae*, part 9 (1970), 28-29, Pls. XXIV_A-XXIV.

الكبير لربها الأعظم "پتاح"، حتى يستطيع أن يُدَوِّن مثل تلك اللوحة المؤرَّخة لملوك مصر.



جزء آخر من "قائمة سقارة" (CG. 34516 A)، يضم اسمى كبيرى كهنة "منف" بالدولة الوسطى، وهما: $Shtp[-ib]-R^c-nh$ = سحتب-[اب]-رع عنخ، و: $Nb(j)-pw-n(j)-R^c$ = نب-ي-پو-ن-ي-رع، على الترتيب من اليمين إلى اليسار.

نقلًا عن: باسم سمير الشرقاوى، كهنوت منف حتى بدايات العصر البطلمي، ماجستير (جامعة عين شمس، ٢٠٠٣ م)، ج ٢: ١٠٥١ (شكل ٢٥٩)، و ٩٨٣ (شكل ٢٠٨) - على الترتيب.

³¹ باسم سمير الشرقاوى، كهنوت منف، ماجستير (٢٠٠٣)، ج ١: ٤٥٧؛ ج ٢: ٩٨٣ (شكل ٢٠٨)، و ١٠٥١ (شكل ٢٥٩).

٤- بردية "تورين" (Pap.Turin Cat. 1874 vs.)³²

تنسب هذه البردية التي كُتبت بالخط الهيراطيقى إلى مدينة "تورين" الإيطالية، حيث تحفظ بمتحفها. وقد دُكر أنه تم العثور عليها في "منف"، وأنها وصلت إلى إيطاليا في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.

وتؤرخ البردية بعصر الأسرة التاسعة عشرة، وتضم ثلاثمائة من الأسماء، وتبدأ بأسماء الأرباب الذين حكموا مصر، ثم تنتهي بأسماء ملوك الأسرة السابعة عشرة، أي نهاية حكم الهكسوس، وبداية الدولة الحديثة على يد مؤسسها "أحمس الأول" (١٥٤٩-١٥٢٤ ق.م). إلا أن هذا المصدر يعتريه إشكالية مصداقية ترتبب ملوكه بسبب ما عانتها البردية من خطأ في أحد مرات ترميمها، بالإضافة إلى ما بها من فجوات.



العمود الثاني من قائمة "بردية تورين"

متحف "تورين" في إيطاليا (Pap.Turin Cat. 1874 vs.)

³² Pap. Turin Cat. 1874 vs. ; LÄ IV, 736.

وتتبع تلك البردية كل اسم ببيان عن مدة حكم وعمر كل ملك، وتذكر - في بعض الأحيان - عدد سنوات الحكم في مجموع كلي. ونلاحظ أن بردية "تورين" تذكر بالنسبة للأسرات الأولى حوالى اثنين وخمسين ملكاً، مبتدئة من "مينا" وجاعلة إياه مؤسساً للملكية المصرية. ولم يذكر "مانيتون" من هؤلاء سوى تسعة وأربعين ملكاً فقط.

وبالنسبة للأسرة الثانية عشرة، فكلا المصدرين (تورين، ومانيتون) يعطيان سبعة ملوك، ثم يأتي بعد ذلك عدد كبير من الملوك الذين حكموا فترات قصيرة جداً لم يذكرهم "مانيتون"، وذكرتهم بردية "تورين".

ثم تذكر البردية مجموعة تالية تضم أسماء بعض الملوك الأجانب المعروفين (مثل ملوك الهكسوس)، وأيضاً بعض الأسماء الخيالية التي لا يبدو أنها كانت تخص أى ملك.

وقد كانت البردية في حالة سليمة عندما اشتراها "دروفيتي" (Drovetti) في الأقصر عام ١٨١٨م، وقد ذكر له بائعها وقتذاك أنه عثر عليها في "منف" ^{٣٣}. ويعتقد "أحمد بدوى" أنها كانت محفوظة أصلاً في أحد خزانات معابد "منف" ^{٣٤}.

³³ وصلت البردية إلى إيطاليا في أوائل القرن التاسع عشر، وأصبحت ملكاً لمتحف مدينة "تورين" الإيطالية عام ١٨٢٠ م. وفي عام ١٨٢٤ بدأ "جان فرانسوا شامبليون" يهتم بالتواريخ التي جاءت على هذه البردية، وبدأ في فحصها في متحف "تورين"، حيث وجدها ممزقة إلى أكثر من خمسين قطعة، وحاول بعد عناء شديد ترميمها وجمعها. وفي عام ١٨٢٦م حاول أحد العلماء الألمان (ويدعى "سيفارث" Seyffarth) تحسين عمل "شامبليون" الترميمي، فاطلع على البردية من الوجه والظهر. ومن المؤكد أن البقايا الصغيرة التي أعيد ترميمها قد رمت بطريقة غير سليمة، إذ ما زالت محاولات تصليح ترميمها الخطأ جارية حتى الآن. انظر: رمضان عبده على، تاريخ مصر القديم، ٥٤-٥٥ ط (١٩٩٩)، ٢١٥-٢١٦؛ عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، (ط٣، ١٩٩٨)، ١٥؛ (ط٢، ٢٠٠٥)، ١٥؛ باسم سمير الشرقاوى، كهنوت منف حتى بدايات العصر البطلمي، ماجستير (٢٠٠٣)، ج١: ٤٥٨ وهامش (١٨٣)؛ - J. v. Beckerath, 'Königslisten', *LA III*, 534; G. Maspero, *History of Ancient Egypt*, vol. I, The gralier society publishers, (London, without date), 226; Alan Gardiner, *Egypt of The Pharaohs* (London, 1961), 47-48.

³⁴ باسم سمير الشرقاوى، كهنوت منف حتى بدايات العصر البطلمي، ماجستير (٢٠٠٣)، ج١: ٤٥٨ هامش رقم (١٨٣)؛ راجع: هرودوت يتحدث عن مصر، ترجم الأحاديث عن=

ومن قائمة ملوك "بردية تورين" والدراسات التى قامت عليها توصل البعض إلى أنها تشير إلى أن (*šmšj.w-hrw* "شمسيو-حور")، أى: (أتباع المعبود "حور") هم مجموعة من الملوك من صعيد مصر من العصر الحجري النحاسى، وقد قاموا بحكم البلاد من منطقة "منف" إبان حضارة "نقادة" الثانية (٣٥٠٠-٣١٥٠ ق.م) قبل عهد الملك "نعرمر" (مينا) ٣٥.

وذلك مما قد يشير إلى أن موقع مدينة "منف" والسكنى بها قد سبق العصور التاريخية وعصر الوحدة والتأسيس، وأن "منف" كانت قائمة فى ظل بعض حكام من الصعيد سيطروا على الأحوال فى مصر باسم "أتباع حور"، ومهدوا لقيام الوحدة التاريخية بين شطرى مصر.

وهكذا فإن مدينة "منف" كانت قائمة فى التاريخ منذ عصر ما قبل الأسرات، ومنها تم حكم البلاد، ومنها أيضاً انطلق مشعل الحضارة المصرية. كل ذلك طبقاً لدراسة قائمة ملوك "تورين" إذا أخذنا بما جاء فيها على علاته، وتبعاً لتفسيرات ودراسة الباحثين الذين عكفوا على دراستها.

ثالثاً: ما ينتمى للعصر المتأخر

- نصوص الأنساب

ويقصد بها النصوص التى تحكى نسب عائلة معينة. وقد انتشرت عادة تسجيل النسب فى العصور المتأخرة المصرية، وترجع أهميتها إلى أنها

=الإغريقية: محمد صقر خفاجة، قدم لها وتولى شرحها: أحمد بدوى، دار القلم (القاهرة، ١٩٦٦)، ٢١٣ هامش رقم (٢)، وكذلك ٢١٢ هامش رقم (٢).

³⁵ محمد بيومى مهران، مصر، الجزء الأول: منذ أقدم العصور حتى قيام الملكية، ط٤ (الإسكندرية، ١٩٨٨ م)، ٣٢٦؛ وانظر كذلك:

- Jürgen von Beckerath, 'Šmšj-Hrw in der ägyptischen Vor- und Frühzeit', MDAIK 14 (1956), 1-10.

تساعد على معرفة تتابع بعض الملوك الذين عاش في عهودهم أصحاب هذه النصوص وأسره^{٣٦}.

ومن أشهر هذه الأنساب نص يرجع إلى الأسرة الثانية والعشرين لكاهن "پتاح" المعروف باسم "عنخ-ف-ان-سخمت"، نُقش على لوحة من الحجر عُثر عليها في "منف"، وهي محفوظة حالياً بمتحف "برلين" بألمانيا (Berlin 23676)^{٣٧}.

وقد ذكر الكاهن أسماء ستين جِداً من كهنة وكبار كهنة "منف"، وأمام اسم كل منهم ذكر اسم الملك الذي عاصره. ويرجع أقدمهم إلى الأسرة الحادية عشرة، من عهد الملك "منوحتب الثاني" (٢٠٦٦-٢٠١٤ ق.م)؛ أما أحدثهم فيرجع إلى الأسرة الثانية والعشرين، من عهد الملك "ششلق الأول" (٩٤٨-٩٢٧ ق.م).

وكذلك هناك أربع لوحات في متحف "اللوثر" بباريس^{٣٨}، وأهمها تلك اللوحة الشهيرة برقم ٩٦ (Sérapéum-Louvre Stele, no. 96)^{٣٩}. وقد عُثر على هذه اللوحات جميعاً في جبانة "منف" في "السيراييوم" بمنطقة "سقارة". على أنه لا يمكن الاعتماد التام على هذه النصوص إلا بعد مقارنتها بالمصادر الأخرى للتأكد من دقة ما ورد فيها من معلومات.

³⁶ رمضان عبده على، تاريخ مصر القديم، (ط ١٩٧٧) ج ١: ٥٧؛ (ط ١٩٩٩)، ج ١: ٢١٦-٢١٧؛ عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ١٦؛ باسم سمير الشرقاوي، كهنة منف، ماجستير (٢٠٠٣)، ج ١: ٤٥٧؛ ج ٢: ٦٣٢-٦٣٤ (نصا ١٨٢-١٨٣)، و ١٠٠٣-١٠٠٤ (شكلا ٢٢٨-٢٢٩).

³⁷ Berlin Stele 23673.

³⁸ Sérapéum-Louvre Stele: IM. 3749 = RC 2998 = N. 413 = S 1898 (?) = no. 18 = R 401; IM. 3697 = RC 2792 = S 1904 = no. 34 = R 410 = no. 634; IM. 3736 = RC 2793 = S 1905 = no. 36 = R 411.

³⁹ Sérapéum-Louvre Stele IM. 3429 = RC 3160 = no. 96 = R 440.



قائمة لوحة "برلين" (Berlin 23676)

لنصوص أنساب الكاهن "عنخ.ف-نى-سخت"

من عهد الملك "شنشق الأول" (من الأسرة الثانية والعشرين)

العرض ٩٠ سم، والارتفاع ٤٥ سم،

مفقود عند النهاية اليسرى (١٥ سم عرضاً، و ٤٠ سم ارتفاعاً)



Sérapéum-Louvre Stele IM. 3429 (= RC 3160 = no. 96 = R 440).

قائمة "لوحة اللوفر" الشهيرة بـ (Sérapéum-Louvre Stele no. 96)،

وتضم نصوص أنساب "عشاوت-آخوت" ($3h.wt - 3s.wt$). وقد اكتشفت في "السيرابيوم" بمنطقة "سقارة" (١ مارس ١٨٥٢ م)؛ وهي لوحة مستديرة القمة من الحجر الجيري، ارتفاعها ٣٣,٩ سم، وعرضها ٢٥,٨ سم، وسمكها ٥ سم.

وحسب "مارييت" (A. Mariette)، من عهد الملك "واح-كارع" ($W3h-k3-R^c$)، والمسمى أيضاً "باك-ان-رنف" ($B3k-n-rn.f$) المسمى باليونانية (بخوريس Bukhoris) من الأسرة الرابعة والعشرين. أو ربما تؤرخ بعهد الملك "ششلق الخامس" من الأسرة الثانية والعشرين، وذلك طبقاً لرأى كل من "مالينين" (M. Malinine)، و"جورج پوزنر" (G. Posener)، و"فيركوتير" (J. Vercoutter).

نقلاً عن: باسم سمير الشرقاوى، كهنوت منف حتى بدايات العصر البطلمي، ماجستير (جامعة عين شمس، ٢٠٠٣ م)، ج ٢: ٦٣٢-٦٣٤ (نص ١٨٢، ١٨٣)، ١٠٠٣، ١٠٠٤ (شكلا ٢٢٨، ٢٢٩).

رابعاً: ما ينتمي للعصر البطلمي

- تاريخ "مانيتون" السمنودي

"مانيتون" مؤرخ مصرى قديم من مدينة "سمنود" (فى محافظة الغربية)، كان كاهناً فى عهد الملك "بطلميوس الثانى" (فيلادلفوس ٢٨٥-٢٤٦ ق.م) الذى كلفه بكتابة تاريخ مصر القديمة. وقد أخذ "مانيتون" هذه المهمة على عاتقه (حوالى ٢٨٠-٣٠٥ ق.م)^{٤٠}، وذكر صراحةً أنه استقى تاريخه^{٤١} واعتمد فى كتاباته على الوثائق التى خلفتها الحضارة المصرية، والتى كانت تضمها السجلات المحفوظة فى "الأرشيفات" (المكتبات ودور حفظ الوثائق) الملحقة بمعابد "منف"^{٤٢}، بالإضافة إلى كل ما وجده فى متناول يده من وثائق الإدارات الحكومية وغيرها.

ويؤكد ذلك ما أورده المؤرخ اليونانى (Hρόδοτοφ) "هيرودوت الهاليكارناسوسى" فى كتابه الثانى عن مصر من مؤلفه "التاريخ"، أنه عند زيارته لمعابد "منف" (حوالى ٤٤٠ ق.م)، حدّثه كهنتها -بالرغم من جهله وجهل من صحبه من التراجمة الأجانب باللغة المصرية القديمة- عن قصة "مينا" وإنشائه لمدينة "منف"، وحمايتها بالجسر والسدود التى بناها، ثم بنائه لمعبد ربها الأعظم "پتاح" (هيفايستوس)^{٤٣}؛ كما تلوا عليه:

(من ثبت بردى، أسماء ثلاثمائة وثلاثين ملكاً آخرين بعد مينا ...،
وكان من ضمن هذه الأجيال ثمانية عشر ملكاً من الإثيوبيين (السودانيين)،
وامرأة واحدة من أهل البلاد، والمرأة التى حكمت كانت تدعى "نيتوكريس"
... الخ)^{٤٤}.

⁴⁰ I Shaw & P. Nicholson, *British Dict.*, 169c.

⁴¹ See Manetho, *Aegyptiaca*, ed. & trans. W.G. Wadell, Loeb Classical Library (London, 1940).

⁴² G. Maspero, *History of Ancient Egypt I* (London, without date), 225.

⁴³ هِرْدُوت يتحدّث عن مصر، الفصل ٩٩: ٢١٢-٢١٣، و ٢١٢ هوامش أرقام (٢) و (٤)، و ٢١٣ رقم (١).

⁴⁴ هِرْدُوت يتحدّث عن مصر، الفصل المائة، ٢١٣-٢١٤.

ولسوء الحظ فقدت النسخة الأصلية من تاريخ "مانيتون" أثناء حريق مكتبة الإسكندرية، ولم يصلنا من هذا التاريخ إلا مقتطفات نقلها بعض المؤرخين، ومنهم على سبيل المثال المؤرخ "يوسف اليهودي" (يوسيفوس) الذي حاول أن يرفع من شأن بنى جنسه، ذاكراً أنهم هم "الهكسوس" الذين غزوا مصر بعد انهيار الدولة الوسطى. ومن المؤرخين أيضاً، المؤرخ الأفريقي "چوليوس"، والذي نقل في مؤلفه بعض أسماء الملوك التي كانت مدونة في تاريخ "مانيتون" الأصلي.

ومن جملة ما سبق نصل إلى أنه توجد - من بين أصل المصادر الأثرية السبعة الأساسية في التاريخ السالف ذكرها - خمسة مصادر تعود بأهميتها وكتابتها إلى مدينة "منف" وكهنتها وطلاب العلم فيها؛ وهى على الترتيب الزمنى من الأقدم إلى الأحدث: حجر بالرمو، وبردية تورين، ولوحة سقارة، ونصوص وقوائم الأنساب، وحتى تاريخ "مانيتون"، مما يشير إلى أهمية مدينة "منف" من الناحية التاريخية، سواء فيما يتعلق بتاريخ "منف" بصفة خاصة، أو التاريخ لمصر القديمة بصفة عامة.

وإذا كانت هذه المصادر السبعة كلها لا تسجل إلا حياة الملوك كما هو الحال بالنسبة لنقوش المعابد والمقابر الملكية، فإن نقوش مقابر الأفراد فى العصور المختلفة (والتي توجد فى مناطق متعددة) تحوى الكثير من النقوش والمناظر التي تصور حياة الطبقة المتوسطة، وطبقة العمال والفلاحين.

وهذه الآثار - على كثرتها فى مصر وفى المتاحف الأجنبية - لا تعنى أنه قد تمت كتابة كل فصول التاريخ المصرى القديم، وسد كل الثغرات فيه؛ لأن تراب مصر لا يزال يخفى الكثير من الكنوز التي سيؤدى الكشف عنها إلى إعادة كتابة بعض فصول هذا التاريخ.

رواد الباحثين فى التاريخ والحضارة المصرية القديمة

منذ أعلن "شامبليون" (عام ١٨٢٢م) فك رموز اللغة المصرية القديمة، بدأ علم جديد يرى النور كغيره من العلوم الأخرى، وهو علم المصريات، ذلك العلم المعنى بدراسة تاريخ وحضارة وآثار مصر القديمة.

ولقد كان لعلماء الغرب فضل الريادة فى مجال التاريخ والآثار والحضارة واللغة المصرية القديمة؛ ونذكر منهم على سبيل المثال: ليبسيوس، بدچ، بروجش، مارييت، ماسبيرو، بورخارت، برستد، دى روج، پترى، أملينو، فيرث، سكياريللى، شامبليون، دى مورجان، ديفز، جريفث، إمري، شبيجلبرج، مونتييه، كويل، نافيل، دريوتون، قاندييه، لوير، رايزنر، إرمان، جرابو، هلك، مولر، إيدل، إركسن، تومسون، جاردنر، وغيرهم.

ومن الرواد المصريين نذكر على سبيل المثال: أحمد باشا كمال، وسليم حسن، وسامى جبره، وأحمد فخرى، وعبد المنعم أبو بكر، ونجيب ميخائيل، ومصطفى عامر، وإبراهيم رزقانة، وجرجس متى، وعبد المحسن بكير، ولبيب حبشى، وزكى سعد، وزكريا غنيم، وعبد العزيز صالح، وجمال مختار، وغيرهم.